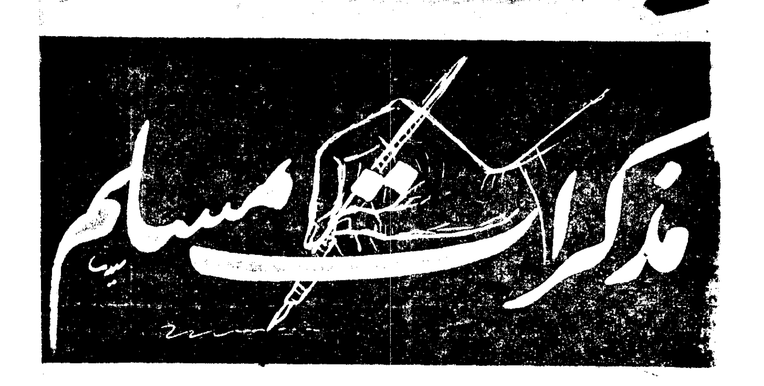




١٣٦٧ — ١٩٤٨

أنور الجندى

مطبعة التوكل ٣٣٤ ش الخليج المصرى الخاميز مصر

بسم الله الرحمن الرحيم

تصدير

عرضنا لتاريخ الحركة السياسية فى مصر بتوسع وافاضة فى رسائلنا(١) الماضية وكشفنا عن حقائق طالما خفيت على الكثير من شباب الجيل عن بعض الاصنام السياسية التى تعبد فى مصر وعن صور الوثنية الحزبية التى يقاسيها هذا الوطن الاسيف

وبقى علينا أن نعرض لتاريخ الحركة الادبية فى مصر فى هذه الفترة الواقعة بين حرب ١٩١٤ - ١٩١٨ وثورة ١٩١٩ وبين التاريخ القائم

وهى فترة عصيبة فى تاريخ مصر والشرق جميعا . يبرز فيها بوضوح أثر الاستعمار فى السياسة والادب والاجتماع والاقتصاد

وسأحرص فى هذه السلسلة التى ابدئها اليوم ان اعرض لهذه المعالم جميعا بالتوضيح والكشف حتى تكتمل بها الصورة

---

(١) اخرجوا من بلادنا ، مناورات السياسة ، بين لاظوغلى ، الاحزاب السياسية ، النيل لا يتجزأ

الصحيحة لهذه الفترة التى يطبعها طابع خاص يعرفها بأنها ، مرحلة انتقال ، بين ماض مضطرب بدأ منذ هزيمة محمد على الكبير ، وتقويض مشروعه الواسع ، بيد الاستعمار الزاحف المتربص بتركيا العثمانية دولة الخلافة - الدوائر

ويمتد هذا الماضى الى (مؤامرة الديون) التى صنعتها يد انجلترا ، أوربا واليهود ، والتى انتهت باقامة صندوق الدين ثم جاء الاحتلال بصوره المدبرة الخاطفة ، التى قامت على المغالطة والتغرير وشراء الذمم وخرق المعاهدات ونقض العهود ، والتى لم تكن مواجهة حربية صريحة بين الجيش المصرى وبين عصابات الاحتلال ،

برزت على أثر ذلك روح من الوطنية المجردة الصادقة ، سرعان ما قذفها الاستعمار بالسياسة المعطلة ، القائمة على التدرج والصداقه والمحاسنة مع الغاصب ، انتهى امرها بعد الحرب وبعد الحماية الى حزبية نهاشة ضالة آثمة ، كانت خلاصة نتاج مدرسة حزب الامة ، ومنهاج كرومر .

فى هذه الفترة بعد الحرب الاولى ، وبعد الثورة المصرية ، دخلت مصر فى دور جديد اختفت فيه كلمة الوطنية والجــلاء

والوحدة والحرية وحلت بدلا منها عبارات الساسة والحزبية والاستقلال والمحالفة والمفاوضه والمعاهدة ، وكلها كلمات تدل دلالة واضحة على (تطويق) استعمارى ضخم جاء فى طى الصورة الاستقلالية التى برزت باسم تصريح ٢٨ فبراير بشروطه الاربعة .

فى هذه الفترة غلبت السياسة الحزبية على كل شىء، وغيرت كل أديم صحيح فقاومت الوطنية، والحرية. والإسلام، والروحية والتدين وقضت على الكرامة والعزة

وقامت دولة الاوثان والاصنام وعبادة الاشخاص وطبعت هذه السياسة الغامرة الطاغية كل شىء بطابعها فاصيب الادب بالحزبية وأصيب الادب بلغة الخصومه السياسيه وأصيب الأدب بالمغالطات التى لا سند لها ولا دليل واستقى ذلك كله من دنيا الخصومات السياسية الحزبية التى قامت بين عدلى وسعد وبين النحاس وصدقى وبين النحاس ومحمد محمود وبين الوفد والسعديين وبين الاحرار والوفد، وكان كتابنا وادباؤنا فى وسط هذا الخضم يعملون فى الجانبين السياسى والأدبى .

ومن ثم غلبت السياسة على الادب ، وغلب الادب على

الاجتماع وضاعت فكرة « الاصلاح » والتوجيه والتركيز ، ومحاربة الاوضاع الفاسدة التي عمت المجتمع والبيت .

في خلال هذه الفترة اشتد ساعد الجانب الاثم من الحضارة الغربية وهو الجانب الوحيد الذي أذنت له اوربا في أن يركب البحر ليهاجر الى الشرق ، وقد لقى هذا الجانب انصارا وأعوانا وأتباعا ، واتسعت رقعته وتضخمت مدرسته ، وشملت الفكر بالالحاد والشك والعلم والكفر والزندقة والادب والسخرية والتهكم وكراهية الشرق والغمز لا مجاده والانكار لحقائق أديانه وتراثه

وشملت المجتمع بالاباحة والاثم والفاحشة ، والخمر والمرقص والاصباغ والازياء ، والمسارح والملاهي والاوحال . .

وبذلك ضعفت سلطة الروحية والدين ، وضاعت معالمهما من المجتمع تماما ، وتسلط على الناس حب الذات والانانية والمصلحة الفردية والشهرة والغلبة واقتناص الفرص، والحصول على المال من أقرب طريق ، ولو كان ثمنه الوطن وكرامته وأسراره ، ليستهلك هذا المال في بحر طام من الفاحشة والاثم والشر ، وليحصل عليه قليل من (تجار) الفساد الغربيين لينتقل من يد المصري العربي المسلم الى يد الغربي الصليبي ليشترى به

مدافع ودبابات يهزم بها الاوطان ويحتل بها الاقطار ويستعبد بها الرجال ويستحى بها النساء .

هذه لمحة خاطفة عن الوضع الاجتماعى والسياسى فى هذا الظرف الذى نؤرخه أدبيا وقد بقى أن ننص على أن كلمة (أدب) فى تقديرنا هنا ، هى عبارة شاملة غير محددة لكل نتاج الاقلام والافكار من صحافه وكتب ومن دراسات فى الادب والتاريخ والاجتماع والقصص .

* * *

(١) أما « الصحافة » فقد أعجبتنى كلمة لنقيب الصحفيين الاستاذ فكرى أباظه بك أثبتها هنا تأريخا للصحافه فى ربع قرن قال (الصحافه بالرغم من انتعاشها ويسرها . . تعمل (موظفة) عند مختلف الاحزاب ، تنقل للرأى العام أوامر الزعماء وأغراض الزعماء وأهواء الزعماء فبعد أن كانت آمرة أصبحت مأمورة وبعد أن كانت موحية أصبحت تتلقى الوحى ، وبعد أن كانت وثيقة الصله بالشعب ، اتخذتها (عصابات الاحزاب) اداة مسخرة لشهواتها ومطامعها فدفنت رسالتها العالية الحرة فى قبر من قبور العبودية الحزبية » اهـ .

ومعنى هذا أن الصحافة لم تعد موجهة بملك زمام القيادة بقدر ما هي موجهة من الأحزاب ومن دور الصحف على أن تساير رغبات الجماهير وقد انحصرت هذه المسايرة فى ناحية واحدة ، هى الصورة الخليعة والقصة المكشوفة على أنها وسيلة تجارية لرواج المجلة !

* * *

(١) أما النثر الأدبى فينقسم أصحابه الى كتاب ومنشئين كما اصطلح على ذلك كتاب هذه الفترة وعلى هذا التقسيم يكون الكاتب هو ذلك الانسان الذى يعيش فى الحياة ويصور رأيه فيها بالنقد أو الاعجاب ، يسير فى ذلك إلى هدف محدد ، وغرض معين ، ورسالة معروفة .

وأمثال هؤلاء قليلون فى عصرنا ذاك . إلا إذا اعتبرنا أن (التثقيف العام) رسالة وذلك ما لا أقره ولا أعتقده ، فليس فليس الكاتب معرضا من معارض القول من هنا أو هناك ، وقد يكون له فى ذلك الاجر والاثر ولكن ليس أجر الكتاب ولا أثر أصحاب الرسالات .

أما المنشئين فاولئك الذين غلبت الألفاظ عندهم على المعانى

والناحية التصورية على الناحية الموضوعية (١) .

والواقع ان ارتباط السياسه بالأدب وارتباط ادبائنا بالكتابة السياسية وخلو الزعامات السياسية من أهداف محددة ومن أهداف اصلاحية ورسالات عامة ، كل ذلك ، جعل الطابع الأدبي في ادبائنا مشوبا بشيء من الغموض أو الابهام

وبمراجعة كتابة أبرز كتابنا على هذا القياس تجد أن هناك من درس بعض الشخصيات الادبية كالمعرى والمتنبى وابن الرومى ، ومن درس بعض الشخصيات الغربية كجان جاك روسو وفولتير وشلى .

وكانت هذه الدراسات فى أول أمرها مما يكتب للصحف قبل أن يكتب للبحث الخـــالص فبرزت فيها سمة السرعة و(الشعبية) ان صح هذا التعبير .

ونرى الدكتور طه حسين مثلا فى مناقشة له مع الدكتور هيكل يقول ان اشتغال هيكل بالسياسة قد أثر فى تصوره الاشياء وحكمه عليها . ولكن الاستاذ العقاد يرى أنه يستمد السياسة من حاسته الادبية فهى (تستهوينى بالمبادىء الانسانية المطلقة

---

(١) اقرأ هذا القسم وهو للعقاد ولطه تقسيم آخر الى ملشئين ووصافين

لا بمبادىء العصبية الضيقة)

وقد انتقل كتابنا فى حدود سنة ١٩٣٠ تقريبا إلى مرحلة جديدة فبدأت عنايتهم بالدراسات الاسلاميه فكتب هيكل «حياة محمد» وكتب طه «على هامش السيرة»

وقد صرح هيكل فى نقده لكتاب هامش السيرة أن طه انما قصد الى احياء ادب الاساطير مستدلا بقوله فى مقدمة كتابة (هذه فصول لم تكتب للعلماء ولا المؤرخين ، ولم يرد بها المؤلف العلم ولا قصد بها إلى التاريخ وهى ان تكن أساطير يضيق بها العقل ويأباها المنطق فليس العقل فى الادب كل شىء وليس العقل فى الحياة كل شىء.»

ولقد وسع طه على نفسه فى القصص فمنحها من الحرية فى فى رواية الاخبار واختراع الحديث. وتساءل هيكل بقوله (هل من الخير تغذية ما سوى العقل من ملكات الناس بالاوهام والاساطير) ونحن نرى ان فى ذلك افسادا للتاريخ ولروح الشعب جميعا.

وان اكبار شأن الاساطير واستباحة التزيد فيها هو تلاعب ليس لوجه الحق أبدا ، وخاصة فى عصر النبى بالذات ، هذا العصر الذى يجب تصفيته من المدخول عليه من الاساطير

والاسرائيليات لانه يمثل الجانب التنفيذى المثالى من النظام الاسلامى .

ولذلك يجب أن لا يتخذ مادة لادب الاسطورة وانما يؤخذ من التاريخ لادب الأسطورة ما لا يترك صدقه أو كذبه فى حياة الناس وفى نفوسهم وعقائدهم أثرا ما .

ويقول الدكتور هيكل معقبا على ذلك (والنبى وسيرته وعصره تتصل بحياة ملايين المسلمين جميعا ، بل هى فلذة من هذه الحياة ومن أعز فلذاتها عليها واكثرها أثرا فى توجيهها . وطه يعلم اكثر مما أعلم أن هذه (الاسرائيليات) انما اريد بها اقامة أساطير ميثولوجية اسلامية لافساد العقول والقلوب من سواد الشعب وتشكيك المستنيرين ودفع الريبة الى نفوسهم فى شأن الاسلام ونبيه) اهـ.

وهذا الوضع فى نظرى يعتبر امتداد لنزعة التشكيك والالحاد والتبشير التى كانت الجامعة المصرية بل وكلية الآداب بالذات ميدانها يوم قامت القيامه على كتاب (فى الشعر الجاهلى) سنة ١٩٢٦ .

ولا تزال هذه النزعه تمتد الى كتاب صدر حديثا باسم (الفتنه الكبرى) يعتبر محاولة اسرائيليه جديدة لانكار حق قائم وأثر واقع فى تاريخ القرن الاول . وفى قضيه الخليفه الثالث بالذات .

(٣) ولقد اغرم بعض كتاب هذه الفترة باغاظة الجماهير وتخصص أحدهم فى مغاضبة الناس فى أمور الدين التى تتصل بالادب وتخصص أخر فى ما يتعلق بامور الدين التى تتصل بالمجتمع .

وكما انفق مجهود ضخم فى سبيل افساد الوطنية كذلك انفق مجهودا مماثلا لافساد الادب والفكر .

وداخل الأدباء لون من القصور فى فهم المجتمع وتحقيق قضاياه وعلاج مشاكله ومآسيه وأزماته . وقصرت همتهم على دراسة هذا الشاعر أو ذلك الناثر دون أن يدخلوا فى حسابهم حاجة المجتمع وفائدته ، ولو حرصوا على هذة الحاجة لاستطاعوا ان يعملوا فى حقول أكثر وفرة ونتاجا ولعادوا على المجتمع بالخير دون أن ينتقص ذلك شيئا من جلال الفكرة الادبية وسموها

وتجردها .

((ويتساءل بعض الناس هل غاية الادب توجيه الحيـــاة الاجتماعية ، وهل الادب الحديث انفع من الادب القديم وهل دراسة الحياة القـائمة انفع من دراسة الماضى ، وهـل الادب ضرب من وسائل الاصلاح وذلك موضع دراسة ضخمة أرجو أن أقدمها للقراء فى فصول مقبلة ، ولـكن الذى يعنينى الان ان حياة الادباء « البرجية » لا فائدة فيها مطلقا ، بل لعلها وسيلة من وسائل نشر روح الرهبنة والقصور والخوف من الاندماج فى المجتمع ونقده ومهاجمة أوضاعه الخاطئة .

ولا شك أن الخير كل الخير أن ينتفع المجتمع من الأدب القديم ومن الماضى ولا يضـير الأدب مطلقا ولا ينقص من قدره ولا يحول بينه وبين (سمة الخلود) وجلال التجرد أن يكون ضربا من وسائل الاصلاح ووسيلة من وسائل التوجيه وهو إلى إنه (تصوير) لمظاهر الحياة الاجتماعية وأزمات القلوب والعقول والنفوس ، فهو توجيه لعالم الواقع ولا يمنع الكاتب المثالى المحلق فى أجواز القضاء بحكم تصوره « للطوبى » الأرضية من أن يكون

واقعا عمليا يصف أدواء المجتمع وكذلك كان « افلاطون » في جمهوريته والمثل للذين لا يعرفون الغزالى والجاحظ ! إن قيمة الآثار والنفائس والذخائر الموروثة في أن تمدنا بالعبرة والعظة والتوجيه في واقع حياتنا وخاصة في لحظات الاضطراب وفترات الانتقال وأن القيم المعنوية عند الأديب لا تتنافى مع الأوضاع الاجتماعية عند المصلح ،ومن العجب كذلك أن يصاب الأدباء بداء العجز عن فهم الحياة والقصور عن الخبرة فيها لأنهم يعيشون في عالم الفكر والخيال .

والخير لهم أن يجعلوا من أدبهم مادة نافعة، وأن يترجم أدبهم إلى عمل وتنفيذ ولعل سر ذلك التخلف هو قصور الأوضاع السياسية والاجتماعية كما قلت عن الاستفادة من الأدباء وتجزئة جوانب المجتمع المتكاملة بعضها ببعض إلى أنواع وفرق فقد استطاع الاستعمار الذى فصل بين الدين والسياسة . أن يفصل بين رجال الأدب ورجال الاجتماع ورجال الاقتصاد، ولكن راية الاسلام الجامعة العالمية تضم هذه الجوانب كلها إلى (الوحدة) الصحيحة القائمة باسم الاسلام كنظام اجتماعى شامل .

د - بقى أن نقول كلمة أخيرة في أثر الاستعمار في الأدب

والفكر فى هذه الفترة ومجمل القول أن السياسة الحزبية طغت على الأدب والفكر وأصابته بلونها وأن الصحافة أفادته سرعة فى التعبير ولكنها أضعفته من وجهة الافاضة والتعمق .

وقد أثيرت مذاهب تغريبية للفكر فى الأدب العربى كانت من وسائل افساده . منها محنة اللغة العامية ومعركة القديم والجديد وروح الاستهتار والتهالك التى جاءت من الغرب بعد الحرب وروح القومية والفرعونية التى أصابت الشرق .

وقد أنشئت الجامعة المصرية فى فجر هذه النهضة وكاد أن يجرفها تيارات الشك والالحاد واندفع الكتاب فى ارضاء الغرائز والرغبات بالأدب المكشوف والقصص الآثم .

وبرزت روح النقل والترجمة من الغرب ولكنها أصيبت بداء نقل صور الجنس وقصص الشهوات ، وتدافعت مع هذا المعنى أسباب الإغضاء عن الأدب العربى الاسلامى الكبير وتجاهله ونقده واثارة الشكوك فى التاريخ العربى والاسلامى القديم والوطنى الحديث على السواء .

وتضاءلت روح (الاسلامية) وبرزت روح العربية إلى حد ما بصورة قومية محدودة رغبة فى ألا تقرن إلى المسلمين

وأصيب الأدب بطغيان السلطان فتضاءل والتوى طريقه وأصيب بالمجاملة والمناسبة ففسد فيه التقدير الصحيح للأمور وانضوى بعض الشيء في ركاب أصحاب الجاه والدولة فلم ترع حرمة استقلاله في الحكم على الأوضاع حكماً نزيهاً صحيحاً .

ولكنه كان فيه إلى ذلك بعض الخير فقد تجددت لغة الكتابة وتقدمت وانصقلت وأصبحت صالحة مقبولة عما كانت عليه قبلا واستقرت الأوضاع نوعا ما فانصرف بعض الكتاب عن السياسة الحزبية إلى السياسة الوطنية أو الأدب الرفيع وفي مقدمته الدراسات الاسلامية وحسناً فعلت جامعة فؤاد الأول بجوائزها التي خصصتها هذا العام لهذه الدراسات .

وقد أصبحت الدراسات الاسلامية فنا رفيعا ، ومرتعا خصيبا للاقلام لولا بعض النقص عندها في تقدير الاسلام كنظام اجتماعي والقصور على العرض التاريخي وتقدير البطولة الخاصة مع تجاهل الاثر الاكبر في خلق هذه الشخصيات وابداع هذه المدنية الرفيعة بحضارتها وثقافتها وميراثها .

وبعد : فهذه مجموعة من الخواطر أردت أن أقدم بها لهذا البحث الذي نشرت بعض فصوله مشكورة مجلة الصباح الغراء ؟

القاهرة في ١ - ٦ ١٩٤٨ انور الجندي

مع الكتب والادباء

برز الأدب العربي المصري في صورة تميزه ، وتكون سماته وألوانه ، بعد الحرب الكبرى الاولى . وكانت طائفة الكتاب في ذلك الوقت لاتعدو أن تكون أحد فريقين : فريق المثقفين بالثقافة العربية البحتة على المنهاج القديم . وفريق العائدين من البعثات الأوربيه

وبذلك نشأ الصراع بين (القديم والجديد) في الأدب والفكر والاجتماع . وهو صراع لاينتهي مرة ، الاليبرز مرة أخرى وفي صورة أخرى . تبعا للتطور والانتقال وقطع الأمة لمراحل النضوج الذهني والاجتماعي والسياسي . وكلمة (نضوج) كلمة غير محدودة ، فالواقع أن الأمم والشعوب تتطور وتنتقل من حال إلى حال تحت تأثير الدعوات الوطنية أو الدينية أو العالمية

ولا يمنع ذلك التطور أو التحول من أن تحمل الأمة معه سمتا خاصا ، أومظهراً خاصا ، يظل قويا وقائما . مع هذا التحول وفي أحايين قليلة يمكن أن يكون انقلابا

ولابد مع ذلك من تقدير عوامل التطور الطبيعى ، ونظم الوجود ، وتقدير الزمن الذى يتم فيه التحول .

كانت الاتجاهات الفكرية بعد الحرب الأولى ، تنحصر فى ذلك اللون الجديد من « التغريب » أو « الاستغراب » ، وقد شمل هذا الاتجاه جوانب الحياة جميعا ، فلم يقف عند السياسة وحدها ، بل أوغل أيضا فى النواحى الاجتماعية والفكرية والروحية

فقد بدأت تضعف ـ تحت تأثير هذه الموجة الجديدة ـ النزعة الروحية الشرقية الواضحة ، بفعل العوامل الجديدة من صور الزخارف الاجتماعية ، والتحلل والمغريات ، التى بدأت فى صور سريعة ومتعددة فى السفور والتبرج وتمثلت بوضوح فى المراقص والحفلات الساهرة

وقد تطورت هذه العوامل الاجتماعيه حتى وصلت إلى ذروتها قبيل الحرب العالمية الثانية .

وقد قلت ، ان الموجة كانت قوية وشاملة ، وقد أعان الاستعمار فى تدعيم هذه النزعات والاتجاهات وصبغها باللون الرسمى الذى لا يوجه ويعد فحسب ، بل ويفرض ويركز

وقد كان هذا التطور نتيجة للظروف السياسية فى الأغلب، وكان لشباب الادباء والكتاب والمفكرين - إذ ذاك - أكبر الأثر فى حمل لواء هذه الدعوة فى التحول من الشرق ومن الإسلام ومن الشمول إلى التغريب والوطنية الضيقة والحماس للقوميـــة

وكان لتلك الموجة هذه الآثار التى نلخصها فيما يلى :

١ - التنكر للروحية والدين عامة وللاسلام خاصة وللتاريخ الاسلامى . والغض من قيمة التدين ، والاعراض عن اللون الروحى والدينى ، واعتباره رجعية وجموداً . والنظر الى معالم الاسلام والتاريخ الاسلامى نظرة الشك والسخرية ، وتعقب الثغرات والآراء الضعيفة ، والروايات المدخولة ، والإسرائيليات ، لابراز الفكر الاسلامى من القرآن الى الحديث إلى التراث الاسلامى بصورة الجمود والقصور ، والوقوف منها موقف الشعراء من الاطلال !

هذا فضلا عن النظر إلى المسلمين والعرب فى تاريخهم نظرة الغزاة الهمج المقاتلين ، الذين اقاموا ملكهم على السيف والبطش والقتال ..

والنظر إلى التاريخ القومى على انه مراحل تنقـل من استعمار إلى استعمار ومن احتلال إلى احتلال وذلك كله فى سبيل التنكر للاسلام والاستهانة بتراثه الخالد، والسخرية بتاريخ الوطن وهما أعز ما يرعاه الانسان !

٢ ـ الاعجاب بالغرب، وتمجيده وابراز تاريخه وصور بعض قواده، بصورة البطولة والخلود، وأبرز ما يطنطن به الغرب من أحداث : الثورة الفرنسية وتاريخ نابليون

وقد ملأ ذلك نفوس بعض شبابنا المفتون أعجابا بالغرب واكباراً، امتزج به لون من السخرية والاستهتار والاستهانة بالشرق والتراث الاسلامى والوطنية العربية

وقد قتل هذا اللون من التغريب، نزعة الاعجاب بالشرق أوالتقدير لامجاده، وانتقلت هذه النزعة إلى الاعجاب بالغرب وحده. ونسى شبابنا فى غفلة من هذا البريق، أن الثورة الفرنسية التى يفخر بها الغرب لاتعدل شيئا إلى جوار الثورة الاسلامية التى نقل بها محمد ﷺ الدنيا جميعا من وضع إلى وضع فكانت انقلابا تتضائل بجواره كل ثورة أوانقلاب. وأقل مايقال عنه ان مبادئه

الكريمة السامية لم تكن ألفاظا تقال ولا تنفذ ، بل كانت حقيقة عملية سجلها التاريخ فى الوقت الذى سجل فيه المتشدقين بالحريه ، والاخاء ،والمساواة ، صنوف البربريه ، والاستعباد ، والاجرام . ونسى شبابنا أن الفخر بنابليون وبطرس الأكبر ويوليوس قيصر وغيرهم لا يعدل مطلقا الفخر برسول الله وأنبيائه محمد وعيسى وموسى وهم الذين ظهروا فى الشرق فأضاءت مبادئهم الدنيا ولم تجد لها الانسانيه كرامة إلا تحت ظلالهم ...

ولن يكون تراث الغرب مهما بلغ من العظمة والجلال شيئاً بجوار تراث السماء

ولن يكون شكسبير وتولستوى وويلزوروسو وهوجو ، أعظم أثراً فى عالم الفكر من المتنبى والجاحظ وابن خلدون وعبد الحميد الكاتب وشوقى .

٣ ـ تفشى (القومية) والجنسية ، واستفحالها وهى نزعة رميت بها الجامعه الاسلاميه والوحدة الشرقية بقصد قتلها والقضاء عليها . وقد تحمس كتابنا لهذا اللون المحلى ، ولهذه العصبيه

الاقليمية وأغرموا به، وخفي عليهم الغرض المبيت من وراء النزعه وهو تمزيق الوحدة ، وبتمزيقها لا يضار الا الاسلام والعرب .

٤ - برزت فكرة بعث الحضارات القديمة ، فاستغلت فى مصر نزعة الفرعونية وفى العراق النزعة البابلية وفى سوريا النزعة الاشورية ، ووجدت هذه الافكار البالية من الدعاة من قال « حاضر لا ماضى له ولا مستقبل له » وغاب عن هؤلاء ، أن الماضى لابد أن يرتبط بالحاضر ، وإنه لا رباط بيننا وبين الفرعونية ، وإنما يرتبط حاضرنا ومستقبلنا بالماضى الاسلامى وحده أما ما سبق ماضى « الدين » من تاريخ موغل فى القدم والوثنيه ، فلم تبق لنا به روابط أو أواصر وقد قضى بزوغ الاديان فى الشرق على هذه الصفحات الضالة !

وعلى هذه الصور الاربع قامت الاتجاهات الفكرية والادبية ، فأوغل كتابنا ومفكرونا فى مذاهب الشك والالحاد، وقصص الاباحة والمجون ، وأغرموا بامجاد الغرب ، والتنكر والتشكيك فى عظمة الشرق وروحانيته والايغال فى المخاصمات السياسية والمنازعات الحزبية ، وكان لذلك أثره من التدهور

الاجتماعى والاخلاقى ، والجمود السياسى ، وقتل روح الوطنية والروحية فى الشباب

ثم قامت بعد ذلك نهضة جديدة قبيل الحرب الثانية كانت لها آثار ونتائج وهذا هو الموضوع حديثنا من بعد .

تاريخ الصحافة والادب

الصحافة غير الأدب ، والفكر غيرهما ، فالصحافة -عندى- هى التعبير السريع الخفيف المرن عن الأحداث والأحوال والتطورات ، مع التعليق عليها ، وتقديمها سهلة ميسرة للقارىء المسرع المتعجل ، ولكنها فوق ذلك منبر من أجل المنابر لخدمة القضايا الوطنية ، وقد أصبحت فى مصر منذ مفتتح القرن العشرين (لسان حال) الاحزاب السياسية ، وان ظهرت صحف أخرى فضلت أن تبقى محايدة ، تعرض الأمور فى رفق ، فلا تجنح إلى اليمين ولا إلى اليسار

والأولى هى جرائد الرأى لسان الأحزاب والهيئات وقد عرف عنها غلبة الرأى على الخبر ، والتوجيه على الحيدة والفرق بين الصحافة والأدب ، ان الصحافة جماع منوع ، ينسق فى صحيفه ويقدم فى بساطة وسرعة ، إلى القارىء المتعجل ، أما الأدب فلمعناه عند النقاد والباحثين حدود وقيود ، ولكنهما على كل حال جماع الشعر والنثر ، فيما يتعلق بأمور العاطفة والوجدان والأحاسيس والخيال ويكون الادب بذلك غير الفكر الذى هو جماع الدراسات العقلية والذهنيه ، وهو غير الاجتماع وغير السياسة وغير التاريخ .

أما الصحافة فهى لبساطتها وسهولتها تستطيع أن تأخذ من الأدب والفكر والسياسة والاجتماع والتاريخ بطرف ، ولكنها لا تستطيع أن توغل فى هذه الدراسات إيغالا ، إذ أن سرعتها ويسرها واستعداد الأذواق والعقول التى تقرأ الصحف السيارة لا يحتمله .

وتنقسم مراحل تاريخ الصحافة والأدب أو (الأدب الصحافى) إذا ساغ لى أن اصطنع هذا التعبير ، إلى مراحل خمس (١) ما قبل الحرب الأولى (٢) ما بعد الحرب الأولى (٣) قبيل الحرب الثانية (٤) أدب الحرب الثانية (٥) ما بعد الحرب الثانية

(١) ما قبل الحرب الأولى

ليس يعنينى من أمر الأدب الصحافى قبل الحرب الأول إلا أن أسجل لونين من الصحافه ، كانا يتنازعان الرأى العام فى ذلك الوقت ، يغالب أحدهما الآخر ويصارعه ، ومع الأسف فقد انتهى الأمر بأن صرع النوع الأقل جودة الأكثر فضلا .

كان هذا الصراع بين (الوطنية) و (السياسة) : الوطنية يمثلها مصطفى كامل ، والحزب الوطنى ، وجريدته (اللواء) والسياسة يمثلها لطفى السيد وحزب الأمة و (الجريدة)

الأول يدعو إلى الوطنية الصادقة المجردة التى لا تقبل أنصاف الحلول ، ولا ترضى بالمفاوضة مع الانجليز إلا بعد الجلاء ، والتى تواجه المستعمر الغاصب فى خصومة وحدة ،

فلا ترضخ له ، ولا تلتقى به ، ولا تقبل منه معاونه أو وفاقا إلا على أساس قاعدتها المحددة الواضحة : الجلاء ووحدة الوادى ، ومن الاسف الموجع أن يتحول الرأى العام عن هذا اللون الحاد الثابت إلى لون باهت عقيم . ومن ثم نعود مرة أخرى إلى هذه المعالم بعد مرور ربع قرن كامل ، انتقلت فيه المعركة من الخصومة الانجليز إلى الخصومة الداخلية بين المصريين أنفسهم .

أما المعسكر الآخر ، فهو معسكر « السياسة » الذى أنشأ زعامة ما بعد ثورة ١٩١٩ بعد أن شتت المستعمر المعسكر الاول خلال الحرب الاولى ، وحرم على المنفيين منهم والمغتربين العودة إلى أوطانهم

اما معسكر حزب الأمة والجريده ، فقد كان مقتنعا بالتفاهم مع الانجليز ، والوصول معهم إلى « حل وسط » وكانت لهدعوة براقة جميلة ، أسرت بعض الالباب وصرفتها الى حد ما عن الوطنية المجردة التى نادى بها الحزب الوطنى ، تلك (دعوى المصرية) التى حمل لواءها لطفى السيد ، والتى كانت تعنى الانفصال

عن (تركيا الاسلامية) والجنوح - نوعا ما - إلى جانب الانجليز، بغية الاستعانة بهم والاستفادة منهم ولا شك أن الدعوة إلى اقامة الكيان الوطنى المصرى ، دعوة إذا ماخلصت، كانت دعامة من دعامات الحرية ، أما إذا كانت لمقاومة خصم لا يدله فى تصريف الأمور كما كان ذلك من أمر تركيا ، فان معنى ذلك هو الجنوح إلى جانب الخصم العنيد المسيطر على أنفاس الوطن ،وعندئذ تكون تلك (الدعاوة) أمراً فيه نظر

أما (اللواء) فقد كان سيد الصحف المصرية وسيد الأقلام المصرية على حد تعبير الدكتور عزمى بك الذى يقول (إن الحزب الوطنى لم يكن له الأثر البارز فى جريدة اللواء، بل كانت الجريدة هى المؤثرة فى الحزب ، وكان اللواء وهو يقاوم الاحتلال يلجأ إلى السند القانونى باعتبار مصر أقليما من الاقاليم العثمانية (١)

(١) من محاضرة للدكتور عزمى فى نادى خريجى كلية الآداب القسم الانجليزى فى ٧ - ٣ - ١٩٤٦

أما المؤيد فقد كان يعمل على تدعيم مركز الخديوى الحاكم الشرعى ، ويقاوم إلى حدما من سلطة (كرومر) الحاكم الفعلى إذ ذاك !

أما الجريدة فقد أذاعت فى الناس أنهم مصريون ، يجب أن تكون لهم ذاتية استقلالية خاصة عن الاتراك وان يجعلوا لاعتبار (القومية) المكان الاول ويضعوه فوق كل اعتبار جنسى أو دينى وأن يكون الفرد مصريا قبل أن يكون مسلما

وقد كان ذلك استجابة لنزعة القومية العابثة التى ظهرت فى أوربا فى النصف الأخير من القرن التاسع عشر وانتقلت مع الاستعمار للشرق والتى استعملها الاستعمار لا لتكون قوة على المقاومة والتحرر بل لتكون وسيلة الى التفكك والتمزق - والمصرية والفرعونية دعاوتان ستعرض لها فيما بعد بالتفصيل وقد اتهمت (الجريدة)(١) بأنها مدفوعة بدافع انجليزى وان حزب الأمة

---

(١) المصدر نفسه

أنشئ باشارة من كرومر ، وأن أهلها سيكونون أصحاب المصالح الحقيقة فى البلد

أخذ سلطان الحزبية يخفت ، ويتحول من طريقة القوى الضخم إلى صور من التمزق والضعف ، وظلت مصر تقاسى الوانا من هذا الاضطراب ضعفت على أثره ثقة الناس فى الحزبية والاحزاب ، وتبع هذا انصراف الناس عن اللون الغربى انصرافا حثيثا ، بعد ان تكشف للشعوب الشرقية خطأ الموازين التى يقوم عليها التفكير فى الغرب ، والفوارق البعيدة بين الالفاظ والكلمات بما فيها من براعة ولباقة ، وبين التصرفات والاعمال بما فيها من وحشيه وقسوة .

ولقد كان للحرب العنيفة الاستعمارية ، التى أعلنتها انجلترا وفرنسا وإيطاليا على دول الشرق ، وما قاساه أصحاب الاوطان من اضطهاد ، وتكميم أفواههم ، وما عرف عن سياسات الاستعمار من تخدير وخداع ووعود كلها الكذب والافتراء ، ومن ورائها القسوة والعسف . كل هذا أضعف سلطان الفكرة الاوربية ،

وشكك الناس فى مثلها العليا ، ونقل الناس إلى المرحلة الأولى للخصومة بين الشرق والغرب ، وقد عرف عن الشرق انه لا يطبق مذاهبه العلمية ، وانه فى واقع حياته العملية لا يتجرد من الغرض ، فهو يحاول عامداً متعمداً ان يتجاهل بطولة الشرق الاسلامى ورجال الاسلام ونظامه وتراثه .

وعرف عنه أيضا تشدقه بألفاظ الثورة الفرنسية (إخاء - حرية - مساواة) وكان لهذه العوامل مجتمعة أبعد الأثر فى إفلاس مذاهب الغرب الثقافية وحضاراته فى نظر الشرق وفى نظر المعتدلين والمنصفين من الغربيين أنفسهم .

هذا فضلا عن روح الخصومه الحادة التى أعلنها الغرب للشرق عامة والمسلمين خاصة ، هذه الحرب التى يعلنها الغرب بأسماء مختلفة وتحت أستار منوعة ، مما استدعى ان يعود مفكرونا مرة أخرى إلى التراث الاسلامى ينظرون فيه ويقدمونه للناس فى صور جديدة .

وقد كانت الصحف اليومية قد نشطت فى ذلك الحين الى تخصيص صفحات أدبية دائمة وبدأت الفكرة الاسلامية تأخذ دورها فى عالم التحرير والكتابة بمجلة الاخوان المسلمين التى صدرت سنة ١٩٣٤ وإن كانت فى ذلك الوقت مقصورة على محيط ضيق عملا بمبادىء الدعوة فى دور التكوين .

وكان قد بدأ الدكتور هيكل باشا من سنة ١٩٣٣ يترجم كتاب (درمنجم) عن حياة محمد وينشر هذه الترجمة فى ملاحق (السياسة الاسبوعية) وعن هذا يقول الدكتور هيكل : « انتهزت فرصة وجودى فى الاقصر فى شتاء سنة ١٩٣٢ وبدأت أكتب . وقد ترددت يومئذ أن أجعل البحث الذى أطالع قرائى به من وضعى انا خيفة مما قد يقوم به أنصار الجمود والمؤمنون بالخرافات من ضجة تفسد على ما أريد » .

ثم أخذ الدكتور طه حسين بك ينحو نحواً آخر فى كتابة السير تحت عنوان « على هامش السيرة » نشرت أولى كلماتها فى فى العدد الاول من مجلة (الرسالة) الصادر فى أول يناير سنة ١٩٣٢ ثم جمعها بعد ذلك فى مجلد واحد وأصدر منها ثلاثة أجزاء دارت

حول أحداث وصور حول سيرة الرسول محاطة بالخيال والظلال.

وكتب بعد ذلك الاستاذ توفيق الحكيم مسرحية «محمد» ضمنها سيرة الرسول على طريقة الحوار المسرحي.

وبدء «جو» جديد من الدراسات الاسلامية تناول به الكتاب بعض كتب المستشرقين وفي مقدمتها كتاب «جب» عن وجهة الاسلام الذي لخصه الدكتور هيكل باشا في أحد ملاحق السياسة، وترجمه الدكتور عبد الهادي ابو ريدة. وكتب الدكتور هيكل عن «الشرق والغرب» والاجتهاد والتقليد.

وكان الاستاذ عنان في هذا الوقت ماضيا في بحوثه الاسلامية التي تجمع دقائق التاريخ الاسلامي وصور الصراع بين الاسلام والغرب والذي جمعه فيما بعد باسم «مواقف حاسمة في تاريخ الاسلام»، و«ديوان التحقيق»، و«مصر الاسلامية».

وكان من أثر ذلك أن بدأ كتابنا يعاودون النظر في الكتب الادبية التي ألفها أمثال جورجي زيدان والمستشرقين وينظرون الى ما فيها من أخطاء. ويراجعون ما ورد فيها من أغاليط.

والحق يقال ان «جورجي زيدان» بذل جهدا غير منكور

فى مراجعاته وبحوثه الاسلامية ولكنه لم يستطع أن يتخلص فى بحوثه من ترديد الروايات الضعيفة ، وهذا نفسه هو ماأخطأ فيه الدكتور طه حسين حين عرض للاسلام فى كتابه « حديث الأربعاء » واعتبر « أبا نواس » رمزا لعصره وجعله مظهرا للعصر كله وخلص من ذلك إلى أن العصر كان عصر فجور وزندقة .

وقد أخذت مجلتا (الرسالة) (الثقافة) تحلان محل (السياسة الاسبوعية) ، وكانت الفكرة أشد بروزا فى مجلة (الرسالة) بأعدادها الخاصة عن الهجرة ، وقلم الأستاذ الزيات الاسلامى القوى إلى جوار قلم الرافعى الاسلامى المتفجر بالحرارة والايمان .

ثم أخذ الدكتور هيكل باشا طريقه الاسلامى فأصدر « الصديق » و « الفاروق » وصدر آخرها أبان الحرب ، وكان موفقا فى كليهما توفيقه فى كتابه الأول « حياة محمد »

ثم أخذ الأستاذ العقاد يعالج « العبقريه » فى شخصيات الرسول وصحابته على طريقة علم النفس والتراجم الحديثة ، فكان موفقا وجاء بخير كثير .

وهكذا جاءت الحرب الكبرى صيف ١٩٣٩ والفكرة الاسلامية تشق طريقها فى قوة والكتاب يستجيبون لهذا اللون ويغذونه والدعوة الاسلامية فى أيدى الهيئات العاملة تمضى فى ثبات فتمد الفكرة بعناصر التربية والتوجيه والتركيز.

الصحافة والادب

ظهرت فى مصر ألوان أدبية منوعة خلال (النهضة) الأدبية التى رافقت الحياة السياسية والحزبية بعد تصريح ٢٨ فبراير سنة ١٩٢٢ . وقد كان للسياسة أثرها فى الأدب فهى التى حملته وأبرزته وصنعت شهرة كتابه ، وأمدته بالأسلوب السهل السريع .

ومن أبرز هذه الألوان : أدب المقالة : فهو أقرب ألوانها إلى طبيعة الصحافة ، وأسهلها هضما لدى القراء .

أنشأت معظم الصحف صفحات أدبية يومية ، تتكون من مقالات قصيرة لاتتعدى العمودين أو الثلاثة ، وكان بعض الكتاب السياسيين يخصون يوما المقالة الأدبية . وكان أظهر

هذه الصفحات اليومية والأسبوعية : حديث الأربعاء وكناشة الأسبوع ، وساعات بين الكتب . وكانت السياسة والبلاغ الأسبوعيتان تحملان هذا اللون بالرغم من أن هذه المجلات لم تكن أدبية صرفة ، تحمل السياسة والأدب معا .

وقد وصل فن المقـــالة إلى القمة فى وقت قريب من نشأته ، وتخصص فيها كثير من الكتاب بعد ذلك حتى أصبح فناً من الفنون المقصورة عليهم ، وإن كان بعض الكتاب قد جمع بين الشعر والمقالة ، أو القصه والمقالة . إلا أن كلا من هؤلاء كان أبرز فى أدب المقالة عن غيرها من الالوان

وقد جمع أدباؤنا هذه المقالات فيما بعد فى كتب ومؤلفات روعى فى جمع بعضها اتجاه معين محدد ، ولم يحدد فى بعضها الآخر أى اتجاه .

وكان أبرز المجلات الادبية إذ ذاك الهلال والسياسة الاسبوعيه والبلاغ الاسبوعى ثم بقى الهلال وبرزت سنة ١٩٣٣م الرسالة ثم الثقافة وأصبحت السياسة ملاحق تظهر وتختفى وانقطع البلاغ الاسبوعى واستعيض عنه بالصفحة الادبية فى البلاغ وقد كانت فى سنوات ٣٤ ، ٣٥ ، ٣٦ آية فى القوة فقد كان يكتب فيها المازنى

والرافعي وسلامه موسى وزكى مبارك وابراهيم المصرى ومحمد عبد القادر حمزة وغيرهم

وقد جمعت هذه المجلات صفوة الادباء والكتاب في مصر وقامت على أدب المقالة ثم برزت القصة فأنشأ صاحب الرسالة مجله الرواية ، وقد عولجت فى أدب المقال صنوف الدراسات التاريخية والاجتماعية والسياسية والشعرية وخصت بها القصص والتراجم وعلق بها على الاحداث، واستلهمت بها العبر وهي عندى أجود ألوان الأدب وأعلاها مرتبه وأكبرها قيمة لاحتوائها على الدراسات الناضجة الملخصة فى بساطة أسلوب، وإيجاز ووضوح

وفى مجموعات الهلال والرسالة والثقافة والسياسية الاسبوعيه دراسات متنوعة جمع بعضها مما كتب العقاد والمازنى وسلامه موسى وطه حسين وهيكل وتوفيق الحكيم وعبد الله عنان فى كتب الأيام ودعاء الكروان وحديث الاربعاء لطه حسين، وكتب تراجم وأوقات الفراغ وثورة الأدب وحياة محمد لهيكل وكتب مواقف حاسمة ومصر الاسلامية وديوان التحقيق وتراجم اسلامية واندلسية لعنان ، ومطالعات ومراجعات وساعات للعقاد وحصاد الهشيم وقبض الريح وصندوق الدنيا للمازنى، كل

هذه مؤلفات من أدب المقالة. وقد حوت هذه المقالات دراسات منوعة منها التاريخ والتراجم والنقـــد الادبى ، والشعر ، ونقد وتلخيص القصص الغربى ودراسات فى الأدب العربى والادب الحديث وهى فى مجملها خلاصة الانتاج الأدبى النافع .

ومن مميزات هذه لمجموعة المنوعة أنها أقرب إلى الدراسات العقلية والذهنيـة من غيرها من أنواع الأدب الأخرى كالشعر والقصة ، ولذلك فهى أنفع هذه الألوان الذى أنتجها الادب الحديث ولاشك أن فيها جانبا كبيرا من المساجـلات والنقود والمصاولات التى وصلت فى بعض الاحيان ذروة القوة والروعة كمساجلة « لا يتفيون وسكسونيون » بين العقاد وطه ووصلت ذروة الثورة والقسوة كمساجلات العقاد والرافعى فى سمـامرة الأدب والمهزار الأصم .. وغيرها من مساجـلات الرافعى مع طه حسين فى « تحت راية القرآن » ودراسات عبد الله عنبى عن « مصر الشاعرة » .. مما سنعرض له فى فصول خاصة

والواقع أن كثيرين من كتابنا مع الأسف الموجع قصروا نفسهم على أدب المقالة وحدها حتى قطع اغلبهم هـذا الوقت الطويل ووصلوا إلى سن الشيخوخة دون نتاج بارز ومن هؤلاء الدكتور

منصور فهمى الذى لم يترك بعد رسالة الجامعة غير كتاب صغير هو « خطرات نفس » أو المازنى الذى لم يترك بحثا كاملا لموضوع محدد واكتفى بمجموعات مقالاته وقصصه

ومن كتابنا من انحرف عن اتجاهه الاول إلى اتجاه مغاير كالدكتور طه فقد بدأ حياته بالنقد والتاريخ فى أبى العلا وفلسفة ابن خلدون وحديث الأربعاء والأدب الجاهلى ثم شق طريقا أسهل وأخف وأبعد عن الجهد فكتب القصة وأخرج فى الصيف ومن بعيد وحديث الكروان ، واعتبر على هامش السيرة من هذا النوع نفسه وتلك جناية الشهرة ! .

والواقع أن كثيرين من كتابنا قد صرفتهم الشهرة عن الانتاج المركز ، والتقصى النافع ، حتى صديقنا الدكتور زكى مبارك قد سقط هذه السقطة فأخذ يكتب صحيفته الأدبية فى البلاغ هذه الأيام فى تهاون لم يعرف عنه من قبل ، كان يوم الحديث ذو شجون فى البلاغ والرسالة من آيات الأدب وروائعه فى دقه الملاحظة وبلاغة الاسلوب وقوة المجهود . وكذلك الاستاذ المازنى الذى اضطر تحت ضغط الانتاج الكثير إلى إعادة ماسبق أن كتب ولم يخلص من هذه الخطيئة إلا كاتبان أذكرهما لوجه الله :

العقاد ، وسلامه موسى، أما الدكتور هيكل فقد شغلة عمله السياسى عن واجبه الأدبى ، وحال المرض عند الأستاذ الزيات دون الانتاج الناضج البليغ ، فلم يصدر كتاب عبقرية الاسلام والدنيا تترقبه ، ولا شك أن الاستاذ الزيات هو سيد كتاب المقالة البلاغية والوصفية والانشائية ، ويقابله فى الناحية الأخرى الاستاذ العقاد فى الدراسات الذهنية والعقلية والفكرية

وبالجملة فأدب المقالة هو عماد الألوان الادبية والفكريه جميعا فى الادب العربى المصرى الحديث وقد أذاعته الصحافة وشجعته وعدلت اتجاهه فجعلته مختصرا سهلا ، بسيط الاسلوب ، على طريقة الصحافة السريعة ، وان كانت قد أضعفت من جزالته وخففت من افاضته ، ولم تدع للكتاب الوقت الفسيح للإفاضة والاناة والمراجعة والاسهاب

وهو اللون الادبى الوحيد الذى استطاع أن يشمل كل أنواع الدراسات التاريخية والسياسية والعلمية والفنية دون تحرز أو تحرج

وبهذا النوع استطاعت المجلات والصحف أن تقدم للأدباء والقراء بحوثاً منوعة ، وصنوفا مختلفة ، ودراسات قصيرة ، وان كان هذا النوع قد عرف «بأدب الساندويتش» الذى يقدم الفكرة

القصيرة الموجزة التى تصل فى بعض الأحيان إلى حد الاقتضاب

ومن هنا وجب ألا يكون هذا النوع من الأدب وحده غذاء الأديب ، ولا يغنى فى نظر الباحثين والمشغولين بالدراسات والقراء النابهين عن الدراسات المطولة الواسعة ، وقد حق على من اكتفى بأدب للصحافة والمقالة أن يقصر عن اقتعاد مكانه فى عالم الكتاب والأدباء

بعد الحرب الاخيرة

خرج العالم من الحرب الأخيرة لم يستقر على وضع محدد، وتلك سنة الحروب فقد خيل لروسيا وأمريكا وانجلترا أنهم قد انتصروا على النازية والفاشية وقضوا عليها ، ولكن (الحلفاء)! سرعان ما ظهر انقسامهم بعد أن وضعت الحرب أوزارها ، الى معسكرين متخاصمين متنازعين ، جبهة شرق أوربا ، وجبهة غرب اوربا أو معسكر الرأسمالية الديمقراطيه وتمثله انجلترا وأمريكا ، ومعسكر الشيوعية وتمثله روسيا .

وقد استطاعت روسيا خلال الحرب أن تنفذ إلى أقطار

الشرق وتبث دعايتها ومبادئها منتهزة بذلك فرصة الظروف الاقتصادية القاسية التى تمر بها تلك الاقطار فلما انتهت الحرب وجد الحلفاء أن روسيا قد وطدت لها فى الشرق مراكز الدعاية الشيوعية ومن ثم بدأ الحلفاء يقاومون الشيوعية ، وقد شقت الدعوة الاسلامية طريقها بين هذا التضارب بين المعسكرين ، دون أن تتأثر بها ، وقد تضاعف أنصارها واستطاعت أن تكشف للناس عيوب الرأسمالية والشيوعية جميعا ، وقد عرف العقلاء والمثقفون فضل النظام الاقتصادى الاسلامى على النظام الشيوعى ، فآثروا أن يعاونوا بجهودهم دعوته والعاملين له حتى يتحقق تنفيذ برامجه الواضحة الناصعة ، وقد وجدت الرأسمالية فى الاسلام بعض ما تدفع به عن نفسها من عادية الشيوعية وقد أعلن بعض الكتاب أن مبادىء الاسلام تتفق مع الديمقراطية ، وحاول آخرون أن يهدموا بها نظريات كارل ماركس فى التفسير المادى للتاريخ وخسرت بذلك الشيوعية ولم تستفد الديمقراطية وكانت حصيلة الفائدة كلها للدعوة الاسلامية والواقع أن الفكرة الاسلامية لا تتفق مطلقا بمزاعم الرأسمالية ودعواها فى الفاظ لا تطبق ، وفى واقع مادى دموى إجرامى ، لا يتفق مطلقا مع ما هو مكتوب فى الكتب

والرسائل . وما هو مذاع فوق المنابر وفى المحافل وليست كذلك العدالة الاجتماعية التى تنشدق بها الشيوعية إلا كلمات ، وليست هذه الكلمات فى الواقع هى مايجذب الشباب إلى الشيوعية أو يحببهم فيها ، وإنماهى عوامل أخرى أقرب الى الشهوات والاباحة والتحلل والنضار وكلاالنظامين مضطرب كل الاضطراب،لم يستقر أحدهما بعد على وضع يستطيع أن يثبت به سلامته وصلاحيته ، وشيوعية ستالين غير شيوعية كارل ماركس،وديمقراطية انجلترا غير ديمقراطية أمريكا . وليست الشيوعية إلا دكتاتورية ظالمة متعسفة مغلقة الأبواب تضع الشعب والدولة والمرافق العامة كلها فى يد رجل واحد ، وليست الرأسمالية إلا هذا الاستعمار الوحشى الطاغى الذى يلبس قفارا من الحرير يخفى أصابعه الملوثة بالدماء ، وليست الا هذه الصليبية الحمقاء تلبس ثوبا عصريا مزيفا وباسم الرأسمالية والصليبية اتقدت نار الحرب العالمية مرتين فى ربع قرن وتسبب عنها هذه الحروب والمجازر فى سبيل الخامات الجديدة والأسواق الجديدة وفى سبيل البواغيز والموانى . وبجوار هذا الصراع الخارجى بين روسيا والانجلوامريكان الذى يقتسم العالم إلى معسكرين ، اتجه الموقف الداخلى اتجاها جديدا ، كان

أحد نتائج تركيز الفكرة الاسلامية فى النفوس واستقرارها فى الأذهان فما أن وضعت الحرب أوزارها حتى بدأت مجموعات الشباب المثقف والجامعة يطالبون بالجلاء الشامل ووحدة الوادى ثم مضى الشباب فى طريقه فأعلن رأيه فى التشكيلات القائمة وهتف بسقوط الحزبية والأحزاب ، وبذلك بدأ عهد احتضار الحزبية واستفتح عهد قيادة الشعوب الزعماء ، الشعوب اليقظة الفطنة الفاهمة المدركة ، الزعماء المتخلفين من ساسة الغرف الدافئة وموائد المفاوضات ، فلما بدأت المفاوضات حطمها الشباب ، واضطر الزعماء أمام التيار الدافق إلى مجاراة الشعوب ومسايرة التيار فقطعت المفاوضات وأعلنت مطالب الوادى بالجلاء الشامل ووحدة الوادى إعلانا رسميا ، وبذا انتقلت مصر من مرحلة المفاوضات إلى دور النضال والكفاح مبتدئه بالاحتكام إلى الهيئات الدولية ورجعت الأمة مرة أخرى للوطنية المجرده ، التى لا تستمد من السياسة الماكرة الملتوية وإنما تستمد من الاسلام والروحية الواضحة الصريحة القوية

كانت الصحافة خلال هذه النقلة الجديدة العجيبة ، تستجيب لهذا التيار وتسايره وتعمل فى حقله دون أن يتخلف عن ذلك

الا القليل من الصحف التى تحمل صفة أو أخرى وبدأت الصحف والمجلات تنتعش مرة أخرى وتزاد صفحاتها ، وأخذت تطرق المسائل الحيوية والدراسات الاقتصادية والاجتماعية وخفتت روح الصراع الحزبى السياسى القديم بانهيار الحزبية وغلبة الفكرة الوطنية المجردة والدعوة الاسلامية الشاملة

وقد مضت الصحف فى تيارها الجديد فأصبحت تحفل بالذكريات والمواسم الاسلامية وتترجم الكتب الغربية عن الاسلام وتتبارى فى الاحتفاء بمواسم الذكريات بالشعر والنثر والصور بل إن الاحزاب نفسها اضطرت إلى مجاراة هذا التيار فأخذت تحتفل بهذه الذكريات بعد أن كان حربا على الفكرة الاسلامية

وكان لانشاء الجامعة العربية أثره فى زيادة التجاوب (العربى) بين الاقطار الشرقية ، وأخذت الصحف المصرية تحفل كثيرا بقضايا العرب وأزمات فلسطين وأحداث الباكستان ونضال اندونسيا بعد أن كانت هذه المعانى من نافلة القول فى هذه الصحف

وأخذت الدعوة الاسلامية تقوى وتزاحم فى ميدان النضال العملى وأصبح لبعض هيئاتها صحف يومية قوية تعلن رأيها

الاسلامى فى مواقف الاجتماع وقضايا السياسة وتبرز خطتها فى نظام الحكم والمجتمع والسياسة وانتظمت الصحف جميعها نزعة جديدة من الوطنية بعد أن كانت قبل الحرب لا تعدو أن تكون سياسة فاترة - أقصد الوطنية الصادقة المؤمنة بحق الوطن ، المدافعة عنه فى حماسة وقوة والتى تعلن خصومتها لانجلترا فى جرأة وقوة ، مع الخصومة لروسيا ولنظامها الشيوعى

وكل هذه العوامل من شأنها أن تطمئن المؤرخ إلى سلامة الاتجاه بعد الحرب الأخيرة إذ يتلخص هذا الاتجاه فى يقظة الشعب وخصومة الانجليز والتنكر لروسيا الشيوعية ، والاقبال على الدعوة الوطنية الحادة والاقتناع بالفكرة الاسلامية الشاملة النزوع إلى وسائل جديدة غير المفاوضات والمجالس الدولية والتفاهم الكلامى وكان لقضية فلسطين أبعد الأثر فى إيقاظ روح الوطنية الاسلامية الصادقة ، التى تجمع الى صدق الإيمان روح الجهاد والحماس والتدرب لحمل السلاح ... بل وحمل السلاح فعلا ويحطم حصون الصهيونيين

وكان لفشل النظم والأوضاع الاجتماعية أبعد الأثر فى تنبيه الشعب إلى حقيقة الفكرة الاسلامية وتأكد رغبته فى تطبيق النظام الاسلامى بعد أن شعر بمدى اضطراب المبادىء الغربية أو انهيارها ..

عوامل يقظه الفكرة الاسلاميه

اندلعت الحرب الكبرى فى صيف سنة ١٩٣٩ ، والفكرة الاسلامية لاتزال تشق طريقها فى صخور وعرة جافة ، من أثر ماتراكم أمامها من زخارف الحضارة وقشور الدين وماتجمع حولها من المقاييس الخاطئة والموازين المضطربة والتيارات المتعارضة .

ولكن شغل الناس بهذه الحروب عن كل شيء ، وترقبهم للموقف الفاصل فى هذا الصراع الطويل ، واستمرار هذا الصراع مدى خمس سنوات عجاف كان قد أمل الناس ، وأقاق بالهم ، ونالهم بصنوف من الأذى والألم إذ اضطربت الأمور الاقتصادية فى الشرق الاسلامى اضطرابا عنيفا فقد استولت الدول المستعمرة على أقوات الشعوب وأرزاقها ومحاصيلها ، واضطرتها إلى حالة من الجوع والفقر والمسغبة والعرى . وقارن الناس بين مايلاقونه من الضنك والفاقة وبين ما ترتع فيه القوات المحاربة والدول المحتلة من النعمة والترف وضاق الناس ذرعا بهذه الكتائب

المختلفة الألوان والأنواع من العسكريين الذين سيطروا على المدن الكبرى والموانى والذين طالما اصطدموا بالناس فى غير أدب أو مجاملة، والذين طالما أساءوا إلى الناس فى غير ما تورع ولا حياء.

هذا، فضلا عما أعد لهذه القوات العسكرية من أسباب النعيم وما أحيطت به من أسباب المتعة المحرمة، التى كانت وقودها الأعراض المسلمة التى ترخصت وتبذلت فى سبيل النضار العزيز، هذا النضار الذى هو فى مصدره الاول من عرق الفلاح، ودم العامل، وكبد البائس الجائع العارى من أبناء هذا الوطن.

وزاد هذه الصور حده وقسوة فى نفوس الناس، تلك الألوان المجرمة من الحرب وأدواته وأساليبه، وهذا التقاتل المرير، لا على المبادىء والنظم والدعوات، وإنما على المطامع الرأسمالية، وعلى الصراع الفردى فى سبيل استعلاء دولة على دولة، وعلى سحق الشعوب الضعيفة القاصرة وعلى استلاب حريتها ومقدراتها وخيراتها، وعلى استعبادها وإذلالها وجعلها حقلا يمتع بنتاجه بضعة نفر من الرأسماليين وأصحاب المصانع والشركات، وفى سبيل مرضاة هؤلاء، وفى سبيل اضافة ملايين جديدة إلى رؤوس أموالهم،

تسحق الطبقات الفقيرة والشعوب الضعيفة ، وتوقد فيها النار ، كأنها من السوائم التي لا يحسب لها حساب .

كل هذه الصور والمعاني طافت في أذهان الناس وأفكارهم ودارت على ألسنتهم وفي سوامرهم إبان الحرب ، وكان لهذه النفوس أن تتطلع إلى ما وراء الأفق ، وأن ترقب بصيصا من النور ، وأن تسأل عن المبادئ والدعوات والمذاهب .

وكان الاسلام ونظامه وعدالته وروحه الكريمة البارة هي ذلك النور الذي يعقد الناس عليه الأمل ليكون ضياء لطريقهم ، وهديا لمستقبلهم ، فتعلقت النفوس به في الوقت الذي انقطع فيه حديث الحزبية والأحزاب ، والسياسة والوزارة ولم تستطع الفكرة الوطنية أن تجد منفذاً لها إلا عن طريق الفكرة الاسلامية ، لرحابة صدرها وسعة أفقها ، فهي تقرر الوطنية الصادقة على ضوء موازين الاسلام الكريمة العالمية ، ولا تجعلها خطابة وكلاما وتهويشا ، ولا تجعلها مناررات ومساومات ولا تنظر اليها نظرة الغرف الدافئة والمقاعد الوثيرة ، وإنما تنظر اليها نظرة الفداء والافتداء والدماء الحمراء والصراع والنضال واستخلاص الحقوق كاملة ، عن طريق حر صريح ، وبأساليب

وبأساليب كريمة قوية وأسلحة نظيفة مسددة .

كان هذا المعنى هو أبرز معالم الاسلام ونظامه أيام الحرب وكان موفرجة النور للقلوب الحائرة وعدة النصر للنفوس المتأهبة وقد امتد هذا المعنى إلى أعماق القرى والكفور والنجوع بامتداد دعوتة وبرزت معانيه تحملها الألسنة البليغة والنفوس المؤمنة، وتقدمها خطابة وحديثا أكثر مما تقدمها كتابة وتحريراً حتى استقرت هذه المعانى فى أعماق القلوب ، وهيأت الحرب الفرصة للناس ليعودوا إلى طبيعتهم المؤمنة واستطردت النهضة الاسلاميه فى رسائل الكتاب ، وكتب المفكرين ، وقرأ الناس دراسات نافعة لتاريخ الحلماء وشخصيات القادة والزعماء ، وبحوثا فى سرائرهم النفسية ، وتصرفاتهم الحازمة ، واخلاقهم ، وقياداتهم ومعاملاتهم للشعوب والاتباع ، وقرأ الناس معالم النهضة الاسلامية فى وسائلها وأهدافها وكيف كانت عفة كريمة فى الأولى صادقة فى العمل لاسعاد الانسانية ورفع لواء العدالة والحب والأخاء والكرامه فى الثانية .

كل هذا كان له أثر فى الاتجاه الجديد بعد الحرب ، وكان له نتيجته فى عودة الناس الى الفكرة الاسلامية والثقافة الاسلامية

وكان نتيجة لخيبه آمال الناس فى النظم والثقافة والحضارة العربية ومدى ما فيها من تصادم بين القول والعمل ، ومدى ما تختلف بين الكلمات والوعود المعسوله المستمدة من مبادىء الثورة الفرنسية (حرية ، أخاء مساواة) ، وبين الواقع العملى فى قنابلها ومجازرها واجرامها ومطامعها الرأسمالية والاستعمارية وكيف ضحى الغرب مبادئه فى سبيل مطامعه ، وجعل مطامعه هى مبادئه الفعلية وتستر وراء تلك الأوهام اللفظية ولم يبال أن يخرق أى عقد ويحطم أى معاهدة ويضرب بكل كلمة أووعد عرض الأفق فى سبيـــل الغلبة والانتصار

ثم وضعت الحرب أوزارها والشعوب الاسلامية تتطلع إلى حل قضيتين لا قضية واحدة : قضية الوطن الاسلامى وحريته واستقلاله وقضية النظام القائم والمطالبة بارسائه على قواعد الاسلام ونظمه . وقد كان لهذا الوعى الجديد أثره فى عالمى الكتاب والسياسة جميعاً فأخذت الدول الاسلامية تتحفز لتحقيق حريتها الوطنية وأخذت الشعوب تستعد لتنفيذ نظامها الاسلامى

المقالة السياسية

كانت المقالة السياسية أبرز أنواع المقالة وأكثرها قبولا من

الشعب وأقربها وسيلة إلى الشهرة ، وهى فى القرى والارياف مدار الحديث ، وعدة السمر. ومرذلك ما أوجدته الحياة السياسيه المضطربة بعد قيام الحياة النيابيه من خلاف وخصومة تمزقت بهما الوحدة وتفرقت الأمة وانقسمت بهما إلى معسكرين « سعدى » و « عدلى » ثم إلى معسكرات أخرى مختلفة تتنازع وتتناحر ومن خلفها تتنازع طوائف الأمة

ولقد قامت المقالة السياسية على نقد تصرفات الخصم من الحزب الآخر والمعسكر الثانى أكثر مما قامت على الخصومه الوطنية للغاصب الدخيل، فقد شغلت الأحزاب بعضها، وانقسمت على نفسها وراء مطامع الحكم ووقف كل منها الآخر بالمرصاد يقاومه فى شدة ويبرزه للناس فى صورة المخطىء والخائن، ويعلل تصرفاته تعليلا يلبسها ثوب التهافت والسقوط ، وهى معارضة لم تقم على وضع من أوضاع النزاهة أو سلامة التقدير أو قول الحق وانما قامت على الخصومة التى لا تعرف العدل ، والمعارضة التى لا تعرف الانصاف فكل عمل المعسكر الآخر خاطىء ولو كان عين الصواب وكل قول له مدخول ولو كان فى اشراق الصبح . وهكذا حملت هذه المقالات فضلا عن الأسلوب المرن الملىء

بالسخرية والتهكم اللاذع ، البراءة من الضمير والعدل والشرف والكرامـــة .

وانتقلت الحياة الأدبية بهذه المقالة خطوات إلى الوراء فقد استحدثت ألفاظ نابية قارصة ، وعبارات ساخرة شديدة ، ولم يقف هذا عند حد ، فقد أطلق كتاب كل معسكر لأنفسهم حرية القول والهجاء والاتهام والاساءة والتعريض حتى وصل ذلك إلى أبعد حدوده وأقصى أوضاعه .

ولكن هذه الحماسة الحزبية ما لبثت أن فترت ، وهذه القدسيه التى أضفاها الكتاب على زعماء الاحزاب ما لبثت أن تدهورت وسرعان ما انكشف موقف الأحزاب والزعماء والكتاب جميعا . فأثر الكثيرون من كتاب الصحف الحزبية الاعتكاف والانصراف وانفض عن الأحزاب والصحف كتابها المبرزون بعد أن كسبوا المال والشهرة كما أنفض عن الاحزاب الكثير من الزعماء ممن لمسوا ما وراء الحزبيه من عقم عن الانتاج الوطنى ومن أصرار على المطامع الفردية ، ومن تجرد للدكتاتورية القاسية .

وقد سار فى ركاب المقالة الحزبية ، الصورة الكاريكاتورية

والنكتة السياسية واستحدث اسلوب جديد فى التهمة والسخرية اللاذعة عرفت به المجلات الاسبوعية وبرع فيه التابعى وفكرى أباظه ومصطفى أمين واحسان عبد القدوس من بعد.

وسار فى ركاب هذه الهائجة السياسية أيضا لون من الزجل الحزبى السياسى لانعرض له الآن

وقد عرف بالقسوة فى الهجاء كتاب كان من أبرزهم العقاد وتوفيق دياب وعباس حافظ وطه حسين

وبقى كتاب سياسيون فى صف الاعتدال والهدوء كهيكل وعبد القادر حمزه واحمد حافظ عوض والمازنى

ومضت بعض المجلات تشق طريقها فى هدوء واعتدال كالصباح وأبى الهول

وكان حزب الأحرار الدستوريين، وصحفة مجمع طائفه من المثقفين، الذين تسموا فى ذلك الوقت باسم (المدرسة الحديثة) وقد كان فى صفوفهم طه وهيكل وعزمى وخالد وعنان والمازنى.

وكان من أبرز نشاطهم بجوار المقالة السياسية الكتابة، الادبية والاجتماعية، وقدتعرض الدكتور طه وهو حر دستورى إلى كثير من الاضطراب بسبب كتابه «فى الشعر الجاهلى» ولم

يمنع هذا كاتبا من المعسكر الآخر وهو العقاد أن يناصره ويأخذ بيده وخلاصة القول أن المقاله السياسية انتقلت منذ سنة ١٩٢٠ إلى اليوم فى أربع مراحل :

١ - المرحلة الأولى وهى مرحلة التمجيد للزعامة السياسية الممثلة فى سعد زغلول ، تمجيدا رقى به إلى درجة القداسة .

٢ - المرحلة الثانية: الخصومة بين الوفد والأحرار وقد استمرت طويلا وحشدت لها القوى والجهود ، وبلغت فى بعض الأحيان حدوداً خرجت بها عن الذوق والأدب فى التعبير وكانت من جانب الوفد وكتابه أشد وأقسى من لهجة المعسكر الآخر وفى هذا المعنى يقول الدكتور هيكل باشا فى السياسة ٥ نوفمبر ١٩٣٣ ملحق العدد ٢٩٤٩

حوربنا شهوراً ووجه لنا من المطاعن مالم يكن من السهل على النفس احتماله ووقفنا فى حدود الحجه ندفعها بالحجة والطعن ندفعه هو الآخر بالحجة والاتهام كذلك ندفعه بالحجة ، ولكننا رأينا الكثيرين من اصدقائنا وأصحابنا من اعضاء مجلس ادارة الحزب قد بدأو تظهرون الضجر من هذه الحاله ويصارحوننا بأن الرأى العام يعتبر اعتدالنا ضعفا ، وسكوتنا عن مقابلة الطعن

بالطعن استكانة وهزيمة واذعانا ، والحق أشهد لقد بدأت ثأرات النفس من يومئذ تثور فلم يكن بد من انفجار شديد، وجرفنا التيار ولم يبق أمامنا اللاختيار فى لهجة الكتابة محل إذ كان جمهور القراء يملى على الكاتب لهجته أكثر مما يمليها عليه تقديره الذاتى لأدب الكتابة فما دامت لهجة الكتابة اداة الانتصار فى النضال السياسى فمن الجهل أن نأخذ بالحلم دونها بينما الحلم يعد هزيمة وضعفا..»

وقد وصلت هذه المرحلة إلى أشدها فى السنوات ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ بثوره العقاد على الوفد ، ثم بخروج السعديين (ماهر والنقراشى) ثم بخروج صفوف من الكتاب الدين عارضوا المعاهدة وكرهوا موقف الوفد بعدها .

وتجمعت عصابة الكتاب فى جريدة البلاغ: العقاد وحمزة يقذفان الوفد كل يوم بالحمم حتى سقطت الوزارة النحاسية وتألفت وزارة الأحزاب المؤتلفة برئاسة محمد محمود باشا فى ١٩٣٧/١٢/٣١ وكتب العقاد مقاله الضخم « دالت دولة المهرجين ! »

٣ ـ الدور الثالث : دور الحرب العالمية وتحكيم الصحافة وانصرافها عن المناضلات الحزبية والمنازعامات السياسيه

٤ ـ الدور الرابع : بعد الحرب وقد خفتت معالم الحزبية وضعفت الأحزاب وانصرف الكتاب فى الأغلب إلى الاتجاه الادبى الصرف واكتفوا به، ولم يبرز فى هذه المرحلة إلا الكتاب الاسود الذى نشرته الكتلة وقد كان أقسى أنواع الخصومة السياسية وبرزت روح الوطنية ومقاومه الغاصب تحتل مكانها بدلا من السياسه الحزبية المقاتلة فى الداخل

ثم برزت بعض الصحف الوطنية السياسية الاسلاميه فحملت علما جديدا من المقاله السياسيه القوية المدعمة بالأدلة والبراهين، دون السب والشم والألفاظ الحزبية، بعيدة عن التهريج والمناورات وعملت على الكشف عن الأمور فى وضوح وجلاء وعرضت، الأمور عرضا وطنيا صريحا قويا، فيه رجولة وقوة.

ويعتبر هذا العهد خاتمة للسياسة الحزبية العقيمه ونهاية المقالة السياسية الحزبيـــة، وبدء المقالة الوطنية الموجزة الخاليه من الهجاء والاسفاف

الدراسات التاريخية

— ٩ —

١ ـ شغل الكثير من علمائنا وكتابنا بالدراسات التاريخية وعرض لها البعض فى فصول ومقالات نشرت فى الصحف والمجلات وقدم بعضها الآخر هيئة كتب وأسفار

٢ ـ اتسمت هذه الدراسات ـ فى الأغلب ـ بغير اتجاه واضح أو غرض صريح ، وجرت هذه الدراسات على أسلوب عام لا يرمى الى تثبيت معنى معين ، أو تركيز هدف محدد

ودراسات الاستاذ عنان على ما كشفت من صفحات التاريخ الغامضة وعلى مالها من أثر ضخم فى نظر كل باحث الا أنها لم تخلص من هذا المغمز ، فقد وقفت من بعض الأحداث موقف الآخذ بنظرية الغرب

٣ ـ وهى نظرية لا تحمل دائما للشرق وتاريخه وأمجاد الاسلام وصفحاته الا الخصومة المنطوية فى ثنايا البحوث العلمية فما أثق لحظة واحدة أن كاتبا من كتاب الغرب مهما بلغ به الاخلاص لمنهج البحث العلمى يمكن أن يخلص من غرض فى نفسه ، أو نزوة

خصومة ، مرجعها الى بعض الأحقاد الصليبية القديمة ، أو خدمة للإستعمار

٤ ـ استغل الاستعمار كل شيء حتى مناهج البحث العلمى تأثرت بذلك الى حد كبير فقد رأينا كيف الف «جب» كتابه وجهة الاسلام يرمى منه الى كشف المعالم فى الشرق أمام المستعمرين عن أثر حركة الاستعمار والتغريب وإلى أى مدى وصلت وما هى الوسائل التى تعينها على القوة ، وما هى جوانب الضعف فى الحياة السياسية والإجتماعية فى الشرق وماهى جوانب القوة .

٥ ـ وقد اتضح أن الكثير من المستشرقين هم فى ذات الوقت مبشرين ، وأنهم يتخذون العلم ستاراً يظهر للقارىء مظاهر من البحث تغرى بالنزاهة وهى تدس فى ثنايا دراساتها السم والاثم باتخاذ الروايات الضعيفة والحوادث الفردية حجة فى تقرير قواعد كلية من شأنها أن تبرز تاريخ المسلمين فى صورة تقلل من جلاله وقوته

٦ ـ وقد استغل هذه القاعدة «جرجى زيدان» فمن أول وهلة تدهش لهذا المؤرخ الذى (خدم) التاريخ الاسلامى بتأليف هذه الروايات والكتب والبحوث عن الاســـلام والتى أربت على أربعين كتابا . والواقع أن جرجى زيدان لم يخدم الاسلام بقدر

ما أساء اليه ونظرة عارضة لكتابة تاريخ التمدن الاسلامى (الجزء الرابع) تصور لك كيف أقام المؤرخ حضارة المسلمين على أساس التآمر والكيد وقتل المستأمنين وخيانة أصحاب العهود وكيف كانت الحياة الخاصة للخلفاء وكبار الحكام المسلمين مليئة بالاثم والمجون اعتمادا على روايات ضعيفة ومؤرخين حزبيين ممن ابتليت بهم الفكرة الاسلامية فى كل زمان !

ولهذا مكانه فى الكلام عن :

« أخطاء ومغالطات جرجى زيدان »

٧ - وهناك كتاب آخرون رسموا الحياة الاجتماعية والسياسية فى العصر الأموى والعباسى بصورة الفحش وجعلوا رموزا عليها أمثال أبو نواس وبشار وحماد عجرد ونسوا عامدين متعمدين الحسن البصرى وسعيد بن المسيب ومالك وأبو حنيفة والشافعى !

ومثلهم كمثل من يصور الحياة المصرية الآن بصوره أمثال فلان وفلان من الهازلين الاثمين الذين لا يمثلون الا أنفسهم ! بجوار هذه النهضة الاسلامية والوطنية الدافقة الحادة !

٨ - وهناك كتاب مؤرخون أنكروا وجود ابراهيم وأثاروا الشبهات حول القرآن ذاته وقراءاته وانتهبوا روايات المبشرين !

(لا المستشرقين) مع الأسف واتخذوها سبيلا الى الشهرة والظهور ووسيلة الى المجد والاستعلاء.

٩ - واتخذ آخرون « هوامش التاريخ الاسلامى » وسيلة الى أشاعه الاسرائيليات واذاعة الخرافات وخلق « ميثولوجيا » فى أروع صفحات الامجاد الاسلامية وهى صفحات جهاد الرائد الأول والأستاذ الأول رسول الله ﷺ ، وفى هذا ما فيه من سوء التيه والخلط بين الحقائق والخيالات ، وأشاعة الأكاذيب واختلافها .

١٠ - ولم يقف بعضهم عن هذا الحد فحسب ، بل أنكر أثراً من آثار الفتنة الأولى فى عهد عثمان ، وهو فى الواقع اصطناعا لاخبث الأغراض للوصول الى تشوية الحقائق ، وهذا هو أسوأ ما وصل اليه استغلال التاريخ ، فليس شك أن فتنة يهودية قام بها (ابن سبأ) هى التى البت على عثمان ، وأحدثت هذه المجرزة ، وهذا الاضطراب الضخم التى اتصلت أثاره بالعشر من السنوات ولكن مؤرخا من مؤرخينا أنكر أثر اليهودى الاثم وأقام فتنة عثمان على غير عماد من دسائسه ليضع عقابيل هذا الاثم على صحابة رسول الله

١١ - وجعل بعض المؤرخين همهم أن ثبتوا أن النهضة الاسلامية العلمية لم تقم الا على أمجاد اليونان والفرس ، وأنها بدونهما لم تكن شيئا وفى هذا الشك كل الشك فى عظمة البلاغة العربية القرانية وجهادا المسلمين فى ميادين الأدب والفقه والتشريع مما كان له الأثر كل الأثر فى يقظة الغرب بعد عصورها الوسطى المظلمة

١٢ - نشاط الدكتور هيكل والعقاد فى الدراسات التاريخية الصرفة للأول والنفسية للثانى لا شك فى فائدتها ولكنها مع ذلك لا تؤكد لنا أن حضرتى الكاتبين المؤرخين يومنان بأن هذه الفكرة الاسلامية التى شرحا بعض قادتها وأبطالها صالحة للتطبيق على اعتبار أن الاسلام دين ودوله : ونظام اجتماعى ، وسياسة وتشريع ، وانما هى تقدير لبطولات قديمة فى الاسلام من وجه الاخلاق والمجد التاريخى

وتاريخ رسول الله هو تاريخ المصلح والسياسى والمقنن والحاكم والاجتماعى كما هو فى ذات الوقت تاريخ النبى والرسول وإن المنهاج الذى جاء به مازال صالحا للتطبيق اليوم وبعد اليوم. واذا كانت الشيوعية ونظريه (ماديه التاريخ) تحارب بالتاريخ

الاسلامى فانها فى الواقع لا يقضى عليها الا بالنظام الاسلامى الصريح الكامل على ما فيه من عدالة وكمال لاتسموا اليه أى المذاهب أوالنظم الوضعية !

١٣ - للاساتذة حسن ابراهيم ، على ابراهيم، العبادى، فريد أبو حديد ، غربال دراسات تاريخية ولكنها فى الواقع جميعها أواغلها قائم على العرض التاريخى الصرف الذى لا يعين القارىء على رؤية امجاده الاسلامية بصورة قويه ، بل لعله مما يحرمه من رؤية هذه الامجاد

١٤ - هناك مؤرخون كالاستاذ حسن الشريف وغيره أغرموا بامجاد الغرب أمثال نابليون ولويس والثورة الفرنسية ، وهم قاصرون فى هذه النظرة الى صور تاريخية تغلب عليها المجازر والاطماع الفردية

١٥ - هذه عيوب كتابة التاريخ فى مصر خلال هذه الفترة التى استطاع الاستعمار أن يؤثر فى كل شيء حتى مناهج الدراسات التاريخيـــة ؟

المقالة فى «الدعوات والمذاهب»

- ١٠ -

ليس من شك فى أن كتاب ربع القرن الأخير كانوا خلوا من «الهدف المحدد» و«الربط» بين الموضوعات التى يكتبون فيها، فضلا عن أنها قد تميزت بروح «التغريب» وبرزت فيها الحملة العاصفة على الاسلام والشرق، الا إذا استثنينا كاتبين كانا كالوتدين الراسخين هما رشيد رضا، وصادق الرافعى.

وأكاد أجزم أن كتابنا المبرزين جميعا كادوا يكونون مرتبطين بهذه الفكرة العجيبة، فكرة التنصل من الشرق والانصراف عنه والاقبال على الغرب والاعجاب به، وكانوا فى هذا الاتجاه الغربى ينقسمون إلى قسمين: فريق معجب أشد الاعجاب بفرنسا و«اللاتينيين»، وفريق آخر كلف بانجلترا والسكسونيين

ووصل بعضهم إلى ذروة الخصومة للشرق والاسلام

ووقف آخرون موقف الاعتدال مع الخصومة: وهو اعتدال أقرب إلى إرضاء الجماهير بحكم السياسة الحزبية

وقد بلغ هذا الأثر إلى أبعد مداة حتى استباحت احدى

الصحف أن تنشر مقالا لأحد هؤلاء عنوانه « والدكتور يبيح
الالحاد » وقد سمعت كاتبه فى محاضرة ما ، يفخر بالعصر الذهبي
الذى كانت له الحرية المكفولة لإذاعة هذا القول ! وكتب آخر
يقول (ان علينا أن نأخذ بالحضارة الغربية ، حلوها ومرها ،
وخيرها وشرها ، مايحب منها وما يكره وما يحمد منها ومايعاب »
وهكذا كانت الدعوة الغربية أو « التغريب » كما لقبها الدكتور
« جب » هى المظهر العام للتفكير والكتابة ، وكانت الثقافة الغربية
التى يدعو إليها هؤلاء تتلخص فى النظرة الالحادية للتوحيد .
والسخرية بمقدسات الشعوب ، والهزؤ بتاريخ الشرق وأبطاله
والتنكر لأديانه وتراثه ، والتجاهل لإمجاده وعظمته إلى انكار
الموروثات جميعا ، والتشكك فى الأنبياء ، والكتب المنزلة ،
والقواعد المقررة ، والاشادة بمذهب « ديكارت » ، والدعوة إلى
التخلص والتجرد من المذاهب والأديان عند البحث فى الكون
والخالق والوجود . وقد ظلت هذه المعانى تأخذ صبغة الالتواء
والتوارى ، فلا تتكشف فى وضوح ، وتختفى تحت نظريات
(التطور وأصل الانسان) وحرية الفكر

ثم انتقل كتابنا تحت ضغط حركة تركيا الكمالية إلى تغذية الناحية الإجتماعية بالحديث عن « القبعة ، والمرأة » والسفور ، والحجاب » واللغة » واللاتينية ، واللادينية » وفصل الدين عن الدولة . وكان المقصد من وراء ذلك اذاعة مبادىء الأباحة ، وقد تأثر المجتمع المصرى والشرق عامة من هذا الإتجاه ، إذ استطاعت أوربا أن تقذف هذا الجانب من حضارتها المتبرجة إلا الشرق ، وأن تستغل ضعف الرقابة الدينية ، وقصور الوازع الروحى ، فظهرت هذه الأزمات والمشكلات المعقدة التى لا نزال نقاسى عن عقابيلها الشيء الكثير.

ثم انتقلت الدعوة « التغريبية » خطوة أخرى إلى الاشادة (بالديمقراطية) وقد عرفت الشعوب فيما بعد أن الديمقراطية ليست إلا الرأسمالية الآثمة » وليست إلا انجلترا الطاغية، المتنكرة لحقوق الشعوب ، التى اهدرت الكرامات ومزقت الأعراض » وقد استدعى هذا الإتجاه الإستعمارى - فى الواقع - والحضارى المدنى فى الظاهر ، إلى أساليب أخرى تغرى من عجزت هذه الأساليب عن اغرائه ، أو تخضع من عزت عليه عاطفته الدينية: تلك دعوى « الفرعونية » وقد جند الغربيون لها بعض الكتاب

فى مصر ، هؤلاء الكتاب الذين أسرفوا اسرافا بالغا فى ربط مصر الإسلامية الحاضرة ، بالفرعونية البائدة ، متجاوزين الانقلاب الإسلامى الضخم الذى غير وجه الدنيا منذ نيف وثلاثمائة وألف من السنين !

وقد ظلت (الفكرة الإسلامية) خلال هذه الخطوب قابعة مختفية فى المساجد والبيوت ، لا تبرز إلا فى (المظاهر) الدينية كالموالد والأعياد ، وظل الحال على هذا المنوال ، والحياة الإجتماعية والفكرية تتقاذفها هذه التيارات الغربية الجائحة حتى برزت أضواء الفكرة الاسلامية ، ثم امتدت ، وتغلغل أثرها فى كيان الأمة ، وغمر ضياؤها الأوساط الشعبية ثم أخذت تسرى وتستشرى حتى ركزت قواعدها فى المجتمع ، وفرضت نفسها على الخصوم قبل الأنصار . ثم هزت روح الإستعمار والتغريب والإلحاد والأباحة من أساسها فحطمت قواعدها ، وهدت معالمها ومن ثم تكشفت الحياة الفكرية والاجتماعية عن أوضاع جديدة فى الفكر والاجتماع ، وعن بحوث مصقوله فى الدعوات والأهداف والغايات ، وأخذت تبرز المقارنات الصادقة بين دعوات السماء الربانية المنسية ذات الماضى المجيد ، والتراث الخالد وبين المذاهب الفاشلة ، بدراساتها المرتجلة ، وأفكارها المضطربة وعرف الناس

الفوارق بين المصلح والسياسى ، وبين الكاتب والمصلح
وقد كان للفكرة الإسلامية أبعد الأثر فى اكتساح هذا الميدان الفكرى والإجتماعى فقد اضطر الكتاب تحت ضغط الروح الإسلامية الغامرة إلى الإستجابة لها والسير فى ركاب دعوة الإسلام ، ترضيه الجماهير بالبحوث التى تطوف حول أبطال الإسلام وتاريخه ، وإن قصرت - إلى الآن - عن الإيغال فى مقاصده ونظامه

المقالة فى الأدب والاجتماع

- ١١

عرف كتاب السياسة ومحترفوها بالكتابة الأدبية فهم فى الأصل أدباء ، اشتغلوا بالصحافة والسياسة فى ظلال الأحزاب ، وتنقلوا بينها وتقلبوا فيها ، واضطربوا حسبما اضطربت ، وقد أكسبتهم الصحافة الشهرة فى الميدان العام ، ولو اقتصروا على الأدب دون السياسة لكانوا أقل « بروزاً » منهم الآن والسمة الغالبة عليهم هى صفة « رجال الأدب »

ورجال الأدب يختلفون عن أساتذة الأدب إذ تغلب عليهم كتابة « المناسبات » ويطرقون الموضوعات التى تتصل بواقع

الحياة وظروفها، بخلاف « أساتذة الأدب » الذين يدرسون دراسات موضوعية واسعة تغلب عليها صفة التخصص والموسوعية .

ولكل نوع من هذين محاسنه وعيوبه . أما كتابات رجال الأدب فيغلب عليها أسلوب الصحف، وتملق الجماهير فى الأدب كما تتملقه فى السياسة والسرعة فى العرض والبعد عن التعمق والتوسع والشمول .

وهى كتابات لا تزيد فى الأغلب عن ملاحظات مقتضبه وتعليقات عابرة ، واستعراض سريع منها إلى ذلك الاتصال بالمحيط العام وبالناس وبالحياة .

أما أساتذة الأدب فتغلب عليهم الدراسات المنظمة المستقلة القائمه على القواعد المتناسقة الشاملة، ولكنها لا تتصل كثيرا بواقع الحياة وأعنى بحركتها الدائرة ، ولا تحرص على إرضاء الجماهير ولا تقوم على أساليب الصحف .

الصنف الأول يؤمن بالتعليق السريع والصنف الثانى يؤمن بالتربية الطويلة .

ويختلف الأدب عن الفكر بأن دراسات الأدب فى الأغلب

تستقل بالحديث عن الأدباء والشعراء، ودراسات الحياة الأدبية وتاريخ الأدب العربي في العصور المختلفة . ودراسة حياة الشعراء، وقدعني فلان وفلان بدراسة المتنبي والمعري وابن الرومي والخيام .

والكتابة الأدبية الصحفية تغلب عليها المجاملة ولغة الصالونات وتأخذ لون الحزب الغالب فتسيطر السياسة على الأدب وتجعل رأيها الأدبي تبعا لرأيها السياسي ، فتنظر إلى معاني الأدب نظرتها إلى حزبية السياسة .

وغلب على هذا اللون الأدبي الغرض على التوجيه ، والنقد على الانشاء والهدم على البناء .

واعتبرت (النزعة الاجتماعية) في الكتابة تصور في الادب وعيبت على من شغل بها وحدها ، في الوقت الذى كانت النزعة الاجتماعية المصلحة من خير النزعات وأنتجها في مجتمع مضطرب وفي ظرف انتقال تصطرع فيه عوامل من القلق والاضطراب خلال فترة عصبية حادة .

وهكذا تناولت الأقلام السياسية تناولا حزبيا صحفيا ، فانحازت إلى الحزبية أكثر مما انحازت إلى الوطنية، وأغرقت

نفسها فى الجدل وأغضت عن الحقائق إلى الإنشاء، وخاصمت للأشخاص والمطامع، فقامت خصومتها على غير الحق، ولذلك لم تكن لها نتيجة إيجابية نافعة.

وكما تناولت الأقلام الأدبية السياسة، فهى قد تنكرت كذلك للاصلاح الاجتماعى واعتبرت العمل به خروجا عن دائرة الأدب فى الوقت الذى يمكن أن يكون الاصلاح الاجتماعى نافعاً لو اتجه اتجاها سليما.

صحيح أن مشا كل الاجتماع قد شغلت الناس حيناً واشترك الكتاب فى هذه القضية، ولكنها كانت مشاركة تنساق فى تيار واحد هو التيار الغربى الذى يبيح السفور ويدفع إلى الاباحة، أما الاجتماع فى معناه السليم الصحيح، الاجتماع القائم على مناقشة النظريات وتعزيزها بعد تقديم البراهين الصادقة على صلاحيتها، فذلك لم يكن يوما من عمل الكتاب.

ومهمة الكتاب فى اعتقادى كانت بذلك مبتورة ناقصة، حتى انصرفت عن الناحية الإيجابية العملية فى توجيه المجتمع المصرى بعد أن عاشت بروح حزبية فى مجال السياسة والأدب وسر ذلك غلبة روح (الأدب للأدب) هذه الروح التى تريد أن

لا تتقيد بعمل قومى مجهد ، باسم هذه الحرية التى لاحدود لها ولا قواعد تنظمها .

وبذلك نجحت المقالة فى الأدب والنقد الأدبى والأدب الانشائى ولكنها لم تنجح فى الدراسات الفكرية والاجتماعية والايجابية المنتجة .

القصة والرواية

- ١٢ -

كنت أحب أن أستبق الكلام عن القصه والرواية إلى فصول أعدها عن المسرح والسينما لولا أنى أريد هنا أن أشير اشارات عابرة إلى بعض الملاحظات ليكتمل بها سمت هذه الرساله فى موضوعها

يظهر كقاعده عامة أن القصة فى مصر إلى الآن ليست من من فنون الأدب الرفيع ، وإنما هى من شئون التجارة الصحفية والكسب المادى ومسايره أذواق الجماهير

فالقصة المفضلة الرائجة والكتاب المحبوبون إلى الجماهير هم الذين يلحون فى ذكر الغرائز والرغبات ، ويفصلون الوان القول

عن التمرد والهروب والسطو والجرأة فى ميدان الغرام والهيام .

والواقع أن الحياة الإجتماعية المصرية فى ذاتها لاتدين بأى معنى من معانى الحب كما يدل عليه اللفظ ، وما نراه تحت أسماعنا وأبصارنا إنما هو تجارة فحسب .

ليس هناك الا عرض للمظاهر أو الأزياء ، أوسطو بالمال والشراء ، دون أى اعتبار للعاطفه أوللتقدير أو للإعجاب ودون حرص على أى وازع من الدين أو الخلق أو الحفاظ على العرض او الكرامة والشرف .

ومن هنا لم يكن فى صحيح الأمر عاطفة ما .

ومن ثم كانت القصص صور من الخيال المسرف ، تترضى بعض رغبات الأغرار من الشباب أو الغافلات من الفتيات وفى هذه القصص الخطر كل الخطر على مستقبل المراهقين والعذارى على السواء .

كل القصص المصرى يدور حول الحب والغرام فليس هناك ميدان آخر من ميادين التسامى أو النبوغ أو الإمتياز يمكن أن تصرف إليها الأقاصيص .

ولذلك انصرف عن هذا اللون كبار الكتاب لأنهم استرخصوه

وانصرف عنه الشباب المثقف لأنهم وجدوه خلوا من الغاية والهدف والروح والواقعية أوجميل الخيال .

لم يكتب كبار كتابنا الا قصص ثلاث : زينب لهيكل وابراهيم الكاتب للمازنى وساره للعقاد . وترسل الدكتور طه فى انشاء بعض القصص فكانت قطعا من النثر الفنى أكثر منها قصص بالمعنى المعروف .

وامتاز (توفيق الحكيم) بألوان فكرية عالية كانت خليقة بالاعزاز والتقدير فى مجال الأدب الاسلامى الجديد لولا أنه أعجمها بروح الغرب وزيغها بالدخيل من صور غير معروفة فى لغة الضاد ولا أدب العربيه ، بقدر ماهى معروفة فى أدب الفرنسيين الماجنين المخنثين ولو استقامت له معالم الفكر فى صراحته وتجرده ولو التمس من شرقيته وروحه ومحيطة الصوفى زاد كتاباته لبلغ الذروة بيد أنه أغرق فى (غربيته) التقليدية فكتب مونبراس بدلا من الميشاوى وباريس بدلا من القاهرة .

أما يتمور وفريق من كتاب الشباب فقد انصرفوا إلى رسم صور معينة يكاد يكون استمدادها ذاتى شخصى محض ، دون أن يوضع لها قواعد التوجيه والاصلاح ومسايره تيار الفكرة

الاسلامية الزاحف إلى الحياة المصرية والشرقية يصبغها بلونه القوى الثابت ، صبغة الله ، .

أما الرواية المسرحية والتمثيلية فلا أعرض لها الآن وحسبي أنها ظلت لونا من الاستجابة لرغبات الجماهير لاسمو فيها ولا نزوع إلى التسامى بالعاطفة الشعبية ، ولا إلحاح على الاصلاح أو التوجيه واقحام للرقص والغناء والعرى فى المواقف التى لا تستدعيه وإنما هى من باب التجارة ولا عيب فى ذلك إذا كان الممولين لأفلامنا والقائمين على رواياتنا من اليهود أصحاب الأموال وأصحاب الآثام والراغبين إلى كسب المال من الناس باذاعة الفاحشة .

ولو تنبه القصاص والرواه إلى منجم التاريخ الاسـلامى فاستخرجوا منه درره وصاغوها فى أسلوب الأدب الرفيع والاصلاح الاجتماعى لتأتى لهم أن يرفعوا أذواق الجماهير ويوجهوا أمر المجتمع ويكتبوا لأنفسهم ولأدبهم الخلود

أما هذه الأقاصيص والروايات فلن يطول مقام ذكرها وسيطويها التيار الاسلامى الدافق فتصبح بعد قليل فى خبر كان .

ذلك كلام صريح عن أدبنا فى ربع قرن نعرضه تحت أنظار المثقفين فى صراحة دون غرض او تحيز و بالله التوفيق ؟